محاضرة بعنوان : الزراعة الجزائرية في العهد العثماني (تابع)

مقياس تاريخ الجزائر الاقتصادي

الأستاذ : خميسي عبد الحميد

المستوى : ماستر1

1 -<u>فئات المجتمع الريفي</u> : كان المجتمع الريفي الريفي الجزائري مبني من فئات لها علاقات مباشرة بالعمل الفلاحي اذ كانت الإقامة بالريف تقتصر على ما يعرفون سوسيولوجيا بالفلاحين و دون غيرهم . كان عملهم يقوم بالأساس على العمل الفلاحي مع ممارسة بعض الحرف التي لها ارتباط وثيق بهذا العمل كصنع الأدوات الفلاحية و اصلاحها . عليه يمكن ذكر هذه الفئات الريفية و هي : أ- فئة الملاك : وهي فئة قليلة العدد و معظم أفرادها ملاكا صغارا مساحة قطعهم الأرصية لا تتجوز بضعة هكتارات تستغل بشكل مباشر او بواسطة الخماسة. أما الباقي فهم ملاك كبار يشكلون اقلية و هم في الغالب إما موظفين يتبعون البايلك و هم من الأتراك أو الحضر من سكان الحواضر الكبرى . يستغلون اراضيهم عن طريق الخماسة (ارجع حمدان خوجة المرآة) و هنا اذكر أيضا بعض العائلات القسنطينية : عائلة ابن حسين و عائلة كتشكول و كذا عائلتي لفقون و ابن باديس و باش تارزي .و على العموم عاشت هذه العائلات على الريع العقاري كما هو الشأن بالنسبة لكل طبقة حاكمة .كانت هذه العائلات على قلتها تمتلك كل شيء تقريبا في الريف كما في الحواضر وهي اراضي عزل و ملك و مطاحن و عقارات داخل المدن (انظر Isabelle Grangaud la ville imprenable,Histoire sociale de constantine)

كانت هذه العائلات تستحوذ على الأراضي المحيطة بالزائر و قسنطينة واد الزناتي و حوض السيبوس و عنابة و سكيكدة و الراضي الخصبة بالوسط و الغرب.

كما نذكر بعض العائلات المحلية كعائلة أولاد مقران في مجانة و اولاد بن عز الدين في زواغة قرب ميلة و عائلة بوعكاز في فرجيوة و العديد من العائلات المرابطية اولاد سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني و زاوية الشقفة .

ب- فئة المزارعين : شكلت فئة من الفلاحين الميسورين لا تملك ارضا لكنها في المقابل كانت تمتلك ادوات الانتاج و رؤوس الآموال فيقومون باستأجار الآراضي و يشغلون احيانا يد عاملة تقوم اما بالحراثة او بالحصاد.

العمال الموسميين : يشتغلون بالآجر اليومي و احيانا يحصلون على مقابل عيني و يسمون المقاطعية.

ج- الخماسين : و هم فلاحين بدون ارض . والخماسة نظام استغلال للارض و شراكة عرفت في بلداننا منذ اواخر العصر الوسيط على الآقل ذكرها الونشريسي في المعيار. تقوم هذه الشراكة التي لم يذكرها حمدان خوجة بالإسم على تقديم الخماس لعنصر واحد من عناصر الانتاج و هو العمل لمدة سنة كاملة عند صاحب

الارض مقابل خمس الانتاج بعد اقتطاع الدين المترتب عليه او التسبيقة كما كانت تعرف انذاك. و شكل هؤلاء حسب اندري نوشي عشية الاحتلال حوالى 22 بالمئة من القوى العاملة الريفية.
د- الرعاة : و هم من صغار السن و ضعاف البنية الجسدية و يقيم الراعي عند مستخدمه فهو يتغدى و يحصل على قشابية و خف يعرف بالقاعة وهو مجرد لفافة من الجلد يغطي بها قدميه. و يحصل ايضا على عشر الخرفان الموضوعة خلال سنة.
وخلاصة القول فان المستفيد الأول من الآرض هي الأرستقراطية العسكرية التركية اما الجماهير الريفية فكانت تعيش على هاجس الجوع الدائم او العابر.

تقنيات و مستوى الزراعة : ذكر حمدان خوجة بان الزراعة في العهد العثماني لم تكن من اولويات الطبقة الحاكمة بل هي نشاط يقوم به اهل البادية للحصول على غذائهم فحسب و هذا يؤكد على ضعف مستواها التقني سواء من حيث الادوات المستخدمة او الطرق المتبعة في الاستغلال الزراعي.ففي القت الذي اصبحت فيه الزراعة في اوربا علما قائما بذاته كما كانت في الأندلس الاسلامية في العصر الإسلامي اصبحت عندنا تقوم في الغالب على التقاليدو الممارسات القديمة التي لا تتغير. تقوم العمليات الزر اعية على استخدام الفأس أو المحراث المتوسطي القديم و المنجل الصغير. و لذلك فهي تسخر اعدادا كبيرة من العاملين و بالتالي ترفع من تكاليف الانتاج و تضعف المردود الزراعي الذي لا يتعدى 8 قناطير الا ناذرا. و بما ان زراعة الحبوب مجهدة للتربة فالارض لا تزرع سوى مرة كل سنتين او ثلاث سنوات . كما لم تعرف الزراعة طرق التسميد و هذا عامل اضافي اسهم في ضعف المردود. اما تخزين المحاصيل فيكون في مطامير تحت الآرض او في مخازن تكون داخل البيت او خارجها مثل المخازن الأوراسية و المخازن القبائلية او أكوفي.
تجارة الحبوب : تباع الحبوب في الأسواق و الرحبات بشكل يومي او أسبوعي لتوزيعها على المستهلكين و تراقب السلطة عمليات البيع و مراقبة الكاييل و الموازين و تفرض العقوبات اللازمة عند الغش.كما يشتري اهل الصحراء كميات كبيرة من الحبوب يقومون بتخزينها في الواحات القريبة من التل او نقلها بواسطة القوافل الى الواحات البعيدة في الساورة و توات و قورارة.